

تصنيف المدن العربية في التراث الجغرافي

اعداد/ د.م. وفاء حسن جبر طاهر

كلية التربية / جامعة واسط

المقدمة

ان الجغرافي في اي حقل من حقول العلم لابد له من تقسيم الظاهرة التي يتناولها في بحثه تقسيماً اقليمياً في ضوء معيار او وحدة قياس معينة وبما ان المدينة ظاهرة جغرافية تنشأ من تفاعل الانسان مع بيئته الطبيعية فعند دراستها لابد ادخال التصنيف لأنه عبارة عن عملية جمع الاشياء او موضوعات على اساس وحدة قياس مختارة وقد ذكر التصنيف في كتب التراث الجغرافي منها كتاب ابن خلدون المقدمة وذكره البكري في كتابه معجم من استعجم وياقوت في كتابه معجم البلدان ولأهمية التصنيف وخاصة في جغرافية المدن فقد تناولنا في بحثنا هذا تصنيف المدن العربية في التراث الجغرافي وهذا هو غرض الدراسة فقد تناولنا في المبحث الاول مفهوم التصنيف وانواعه والمبحث الثاني التصنيف الوظيفي للمدن وقد اشرنا الى الجغرافي العربي المقدسي الذي وضع معايير لتصنيف المدن اما المبحث الثالث فقد اشرنا الى تصنيف ابرز المدن العربية في التراث والتي هي (الكوفة – واسط – بغداد) .

المبحث الأول- مفهوم التصنيف

تعد الجغرافية مصدر من مصادر التنوع بأعتباره مصدر للوحدة وهو مبدأ من مبادئ الجغرافية الكلاسيكية اي(الوحدة في التنوع)وهذا يعني ان تطور الدراسات الحضرية يأتي من تنوع دراستها^(١). اما التصنيف فهو عبارة عن عملية جمع الاشياء او الموضوعات على اساس وحدة قياس مختارة وفي هذه الحالة قد تجمع هذه العملية بين حقائق منفردة في مراتب اوسع والغرض من كل هذا تنظيم الاشياء وتقسيمها ومن هنا تبرز العملية بوصفها خطوة اولى من خطوات البحث العلمي (٢). ويعرف (وكلزي) هذه العملية بانها (اداة لايجاد الارتباط بين الحقائق بطريقة تبرز للعيان من وجهة نظر معينة) وبناء على هذا يظهر ان التصنيف حقيقة وصف الظواهر حسب وحدة القياس(٣). ويذهب الجغرافيون الى اختيار معايير مختلفة لتصنيف مراكز العمران الكبيرة او المدن فمنهم من يذهب الى طبيعة سطح الارض التي تحتلها هذه المراكز لمعرفة فيما اذا كانت تحتل مكاناً جبلياً او سهلاً ساحلياً او نهرياً فيقال مدن الجبال ومدن السواحل والانهار ومدن السهول وقد يعتمد البعض الى اعتماد تركيب المدينة ويتخذها معياراً لتمييز بين مراكز العمران او المدن (٤) .

وهنا تبرز مدن عديدة منها الشعاعية او المكتظة الطولية والشبكية ويذهب اخر الى التصنيف النوعي لبيان اهمية الموقع الجغرافي من الناحية النسبية والطبيعية مثل المدن العقدية والبورية مثل الامصار والقرى والبلدة...الخ والى جانب ما تقدم يظهر تصنيف اخر ياخذ وظيفة المدينة التي تعتمد عليها في حياتها ونموها وتطورها اساساً لمثل هذا التصنيف (٥) .

ولعل ذلك يكشف عن مصادر الرزق فيها ومعرفة المقومات اللازمة لتوسيعها او دراسة مراكز العمران في كتب التراث الجغرافي العربي الذي تكشف عن مثل هذه المعايير مما قد يعين في تصنيف هذه

المراكز خطوة اولية او مفتاح لهذه الدراسة وان هذه المعايير قد تقي بتحقيق اغراض ابحاث معينة ولكن من النادر ان ترتبط مدينة من المدن بصفة خاصة ، فمدينة الساحل هي في حد ذاتها مدينة عقدية تخدم ظهيرها . فالبصرة مثلا تجمع بين موقع نهريين على شط العرب كما انها تمثل عقدة مواصلات بحرية تخدم انحاء الطرق كافة لذا فان مثل هذه المعايير منفردة تعني باغراض هذا البحث وابعاده (٦) .

أنواع التصنيف: هناك عدة انواع من التصنيف كل تصنيف له اهمية خاصة به ومن هذا الانواع

اولا :- التصنيف المكاني

تصنف المدن على اساس الموقع الذي تحتله والصفات الطبوغرافية والطبيعية الذي يتصف به ذلك الموقع وهي مدن الجبال التي تعد من العقبات المهمة التي تفرض الانقطاع في الحركة وتتحكم بقوة في توضيح المدن لاسيما وانها ليست انقطاعاً تضاريسياً فحسب بل هي انقطاع انتاجي توجد المدن في موضع يقع عند التقاء الجهات التي تتطلب وجودها كما هو الحال في جبال الالب وخط الينابيع في شمال ايطاليا(٧) ، اما مدن السواحل التي عرف من خلالها الانسان ركوب البحر منذ القديم لذا فقد نشأت مدن الموانئ ونحن بحسب الوظائف التي تقوم بها وتعتمد هذه بدورها على مدى حجم واستيعاب الميناء ومن امثلة مدن السواحل الاسكندرية ، البصرة ، شيكاغو ، وبعض المدن تسمى مدن الانهار بسبب كون الانهار شرايين الحياة فيها ولكونها توفر المياه التي هي مصدر الحياة الرئيسية التي تؤثر على كل شي حياً (٨). كما ان لبعضها دور مهم في النقل فبعض المدن تقع عند مصبات الانهار والتي تكون نقطة التقاء بين اليابس والماء اما مدن السهول التي تعتبر افضل نسبة لقيام المدن ونموها لكونها توفر الاراضي المنبسطة الضرورية للاستعمالات ارض وانشاء طرق النقل عليها ومن اهم مدنها (القاهرة ، نيويورك ، لندن ، دلهي وغيرها) (٩) .

ثانياً :- التصنيف البنوي

يعتمد هذا التصنيف على اساس شكل المدينة رمورفولوجيا التي تمثلها المنطقة المعمورة فيها ، والتي تتباين من مدينة الى اخرى اما اهم مدنها هي المدن الشعاعية التي تتخذ المدينة التي تبنى وفق الخطة الشعاعية شكل حلقات متباعدة حول نقطة مركزية ومن هذه النقطة تخرج طرق اشعاعية تقع في المنطقة المركزية شبكة مواصلات يسهل عن طريقها الوصول الى جميع اطراف المدن (١٠). اما المدن الطولية والتي تنشأ هذه المدن وتنمو بشكل طولي (استراتيجي) ويكون نموها اما على شكل طول نهر او على طول طريق مواصلات او تمتد على طول ساحل بري كما هو الحال في الموانئ وقد يعين امتدادها العرضي وجود ظاهرة طبوغرافية كما هو الحال في الجبال والهضاب التي تجعل المدينة تمتد طويلاً ويمكن ملاحظة ذلك في امتداد مدينتي دمشق في سوريا وعقبة في الاردن اما المدن الشبكية والتي تتخذ وفق هذا التخطيط شكلاً تبسيطياً يرجع ذلك الى تقسيم ارض المدينة الى اجزاء واشكال هندسية ومربعات ومستطيلات واشكال رباعية وتتوفر هذه البنية شكلاً بسيطاً بدرجة دقيقة ومسافة صغيرة (١١) .

ثالثاً :- التصنيف النوعي

يرتبط هذا التصنيف باهمية موقع المدينة الجغرافي من ناحية النسبة والطبيعة التي تنعكس على المدينة وتخطيطها اهمية خاصة تؤثر على موقعها واهميتها من خلال موقعها الذي تحتله ومن انواع المدن وفق هذا

التصنيف (١٢) ، المدن العقدية والتي تكون المدينة ذات اهمية عقدية عندما تتركز خطوط الحيز الطبيعي بشدة مما يهيئ المجال الى قيام مركز استراتيجي ذو اهمية واضحة لايمكن للانسان الا ان يستثمرها ومثال ذلك ملاقي الانهار وتقاطع الوديان والممرات والفتحات في الجبال ومن الامثلة على المدن الحضرية كل من بغداد والبصرة والقاهرة والخرطوم وشيكاغو وباريس وغيرها (١٣) . اما المدن البورية فهي المدن التي نشأت من صنع الانسان عندما يختار موضعاً مهماً في وسط السهول المنبسطة وتتمتع المدينة باهمية خاصة بحيث تجمع طرق المواصلات بمختلف انواعها وقد تكون بؤرة تلاقي طرق الملاحة كما في جزر وسط البحار مثل جزر هاواي ، ومن امثلة المدن (برلين ، موسكو ، ملاينو ، بيروت وغيرها) (١٤).

اما المدن الهامشية التي تقع على هامش اقليم فعال او اطار نشاط بشري وعلى الرغم من ان هذا الموقع يعني قلة اهمية تلك المدن وصغر حجمها الا ان الدور الذي تقوم به كبير كما في ميناء الاسكندرية في مصر وميناء العقبة في الاردن وميناء عدن في اليمن الجنوبية (١٥).

رابعاً :- التصنيف المرتبي

تصنف المدن في بعض الاحيان بحسب حجومها الى مراتب او يقوم بتصنيفها الى تلك الانواع مقسمة بحسب فئات تحتل كل فئة حجماً سكانياً معيناً يتناسب مع عدد سكان الدولة التي توجد فيها تلك المدن او المراكز الاستيطانية ابتداءً من البلده وانتهاءً بالميكالابولس اذ قد تكون البداية بالف نسمة او خمسة الالف نسمة (١٦).

خامساً :- التصنيف التاريخي

يتخذ هذا التصنيف الاحوال التاريخية للمدن اساساً في التصنيف يعتمد هذا الاساس على التخطيط للمدن ومورفولوجيتها وخط البناء ونموها ومدى سعته وهذا التباين باختلاف الفترة التاريخية التي وجدت بها المدن ومن الامثلة على هذا التصنيف (١٧):

- أ - مدن ما قبل التاريخ
- ب - المدن الافريقية او الرومانية
- ج - المدن الاسلامية
- د - مدن العصور الوسطى في اوربا
- هـ - مدن عصر النهضة الباروك
- و - المدن الحديثة

المبحث الثاني- التصنيف الوظيفي

- تأخذ معظم المدن وظائف متعددة وتشمل الصناعات التحويلية وتجارة التجزئة ومحور النقل والادارة العامة والاستخدامات العسكرية ووظائف التعليم وتوجد ثلاث وظائف رئيسية هي (١٨)
١. وظيفة المكان الوسطى او تقديم الخدمات العامة للمنطقة المحيطة بها
 ٢. وظائف النقل
 ٣. وظائف خاصة او وظائف فردية ليست موجهة بالضرورة الى المنطقة المحلية

وكثيرا ما تتطور الوظائف داخل المدينة الواحدة على مر الزمن وتعرض بعض الوظائف لتغيرات اساسية داخل المدينة الواحدة على مر الزمن، فالوظيفة الحربية هي من اقدم الوظائف التي عرفتها المدن لكن اهمية الوظيفة قد اصبحت محدودة في المدن المعاصرة (١٩). اما اهم المعايير التي اعتمدها الجغرافيون في محاولاتهم للوصول الى معيار مقبول يقسمون بموجبه وظائف المدن لذا استخدم بعضهم الاساليب الوصفية العامة كما اعتمد البعض الاخر الاساليب الوصفية الاحصائية اما الآخرون فاعتمدوا اسلوب التحليل الاحصائي. اما الاسلوب الاقتصادي فقد اعتمد من قبل الباحثين الآخرين اما غير هؤلاء فقد اعتمد اسلوب التحليل المتعدد المتغيرات لان اهم ما يميز المدينة هي وظيفتها تقدم خدمات المنطقة التابعة لذلك فان المدن لانتشابه ولكن المناطق القروية تساعد على نشوئها لأداء المهام (٢٠) .

ان وظيفة المدن الاساسية تنحصر بوظيفتها كمركز لتقديم الخدمات اما مهمتها الثانوية فهي توفير اساليب الراحة لأولئك الذين يقومون باعمالهم الاولى وان الحقائق التي تميز المدينة تنبع من طراز حياه سكانها وواجه نشاطهم اما التصنيف الحجمي للمراكز الحضرية فيدور حول محاولة تغيير العلاقة بين حجوم المدن المختلفة وحجم المدينة (يعني عدد سكانها) وتصنف المدن الى فئات حجمية مختلفة ويجاد العلاقة بين الفئات الحجمية المتعددة وذلك في أطر نظرية ثم أطر مكانية اي بحث في التحليل المكاني للعلاقات الحجمية (٢١) .

وقد حاول الجغرافيون ان يبحثون في امكانية الكشف عن وجود علاقة ما بين حجوم المدن ووظائفها اي هل توجد علاقة بين المدنية ووظيفتها الخاصة بها ؟ كما وقد درس الجغرافيون المدن ووظائفها وامكانية وجود علاقة بين حجوم المدن ووظائفها الا انه من الصعب تحديد الوظيفة الاساس في الوقت الحاضر اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار تدخل العديد من الوظائف المدنية في الوقت الحاضر وتنوع العديد من وظائف المدن في خطط التنمية والتطوير التي يتزايد الاهتمام فيها وباستمرار (٢٢) ، فمدنية اكسفورد الجامعة ولظروف عديدة هي الان مدنية صناعية مهمة في بريطانيا وبخاصة التي كانت السبب في وجودها ولأداء وظيفة معينة اما ان لم تستطع المدينة لاي سبب من الاسباب ان تتغير من وظيفتها فتظهر متى تموت ، وقد ماتت مدن عديدة جراء ذلك كما حدث لمدن بابل وسومر واكد المندثرة وتدمر وطروادة واسبارطة ومدن البحث عن الذهب في كاليفورنيا ومدينتا كاليجوردي وكويجياودي في استراليا (٢٣).

ان المدن الصناعية هي اكثر المدن قابلية على التثبيت بالبقاء اذ تستطيع وباستمرار ايجاد بدائل صناعية وتطوير صناعات جديدة فهي تهيئ كل سبل مقاومة التراجع والانتشار والبقاء لفترات طويلة (٢٤) . ان المدن ايضا قد تتواصل لها وظائف جديدة بوظائف لا يمكن ان تستمر في الوجود الا ان تتغير الظروف فتغير وظيفة قديمة لحساب وظيفة او وظائف جديدة لها صلة بوظيفة الماضي فالموقع البحري الحصين الذي يحمي عقدة اتصال بحري او بري فيصبح مركزاً للنقل والاتصالات بعد ذلك فيضم نشاطاً اقتصادياً حديثاً للمدينة القديمة تستمر في الوجود فمدينة الهافر مدينة تجارية بعد ان كانت مدينة حربية في تاريخ يوغسلافيا الحديث دليل اخر على ذلك فقد تراجعت كراجوحيفاك الى مدينة صغيرة تخدم البيئة الزراعية واحتلت مكانها مدينة بلغراد حتى اصبحت عاصمة يوغسلافيا الحديثة (٢٥) .

وظائف المدن

تقوم المدن وكل المدن لتؤدي وظائف مختلفة يستشعرها كل غريب عنها وعند دراسة وظيفة او وظائف المدينة نحن ننظر عليها على اساس ان المدينة اشبه بكائن يأكل ويتنفس وله عمل يؤديه (٢٦) . هذا على ما يؤيده وما تصوره راتزل في اواخر القرن التاسع عشر ((اننا عندما ندرس وظيفة المدينة لاننظر في الوظيفة الداخلية وذلك لانها انتاج لحياء المدينة وينحسب هذا مثلاً على انشاء المساكن وصناعة الخبز واصلاح الالات والسيارات والتعليم في المدارس وتجارة (اقطاعي) وسننظر فقط في الوظائف الخارجية للمدن تلك التي قامت من اجلها والتي تجلب لها من اسباب الثروة والحياة مما يجعلها تعيش بل وتنمو من اين تأتي هذه الثروة ؟ انها تأتي من الاقاليم المحيطة وربما من وراء الاقاليم اذا كانت مدينة كبيرة))(٢٧).

انواع الوظائف

اذا حاولنا ان نضع قائمة بوظائف المدن وفقاً لتعريف المدينة الذي اتفقنا عليه يجب ان نستبعد الوظيفة الزراعية على اساس انها ليست وظيفة مدينة وان وجدت فهي تمارس في ظروف خاصة وفي اماكن معينة محددة (٢٨) . ان تصنيف هذه الوظائف كان مهماً الى ما قبل ٢٥ سنة مضت واما اليوم فقد اكتسب شيئاً كثيراً من المنطق بعد تقديم وتحليل . ويقسم وظائف المدن الى اربع اقسام رئيسية هي (السياسية ، الثقافية ، الاقتصادية ويدخل منها الاسواق والمواصلات والتجارة والصناعة ' الادارية) وتصنف بوجود وظيفة خاصة هي الوظيفة الحربية رغم انها ليست اليوم ليست لها قيمة وحجتها في ذلك انها كانت تقوم عن نشأه عدد كبير من المدن في الماضي ولاتحافظ المدينة في الغالب على وظيفتها الاصلية فربما تقوم المدينة لتؤدي وظيفة معينة تحت ظروف خاصة فاذا ما تغيرت الاحوال تضحل وتخفي فيها الصناعات المدنية وتنزل الى مرتبة القرية وقد ظهرت الدراسات ان الوظيفة الصناعية لها القدرة على البقاء عن طريق استبدال الصناعات القديمة بصناعات جديدة (٢٩) .

اولا : الوظيفة الادارية والسياسية

تعد هذه الوظيفة على خلاف وظائف المدنية الحديثة حيث تختار للمدن الوظيفة ثم تنمو هذه الوظيفة وتظهر الوظائف التجارية والصناعية والثقافية ولا توجد مدينة بلغت نهاية مرحلة التطور (٣٠). وتقوم بالادارة وتحرك السياسة فحسب هاتان الوظيفتان تمارسان عادة الى جانب وظائف اخرى وتوكل الوظيفة الادارية السياسية الى المدينة الاولى في الاقاليم وكان من الصعب في احيان كثيرة تمديد ايه مدينة هي الاولى فان عملية الاختيار مشحونة بالحسابات ولكن يقع الاختيار في الغالب على المدينة ذات الموقع الوسط (٣١) .

ثانياً : . الوظيفة الحربية

ان الوظيفة الحربية هي اقدم وظيفة مدنية وان اقدم مدينة كانت عسكرية وليس لهذه الوظيفة اليوم اهمية كبيرة بعد تطور وسائل الحرب والقتال ومع ذلك فهي مسؤولة عن نشوء وتخطيط المدن في اقليم الارض المختلفة(٣٢). وكان الموقع البارز المرتفع هو اهم ماتبحث عنه المدينة الدفاعية لانه يمكن الدفاع عنها وتزويد من صعوبة الهجوم ولقد عرفت معظم المدن في كل العصور الحاجة الى الدفاع والحماية من اخطار

الغزوات القبلية والاسرية والاقليمية فلجأت الى التحصن بالاسوار المحيطة ومن هناك كان السور او الحائط وهذا الدرع الحجري وبواباته ظاهرة مشتركة بين اغلب المدن في الماضي ويمكن ملاحظة العديد من انواع المدن العربية وهي (المدن الحربية البرية، والموانئ الحربية البحرية) (٣٣). اما الحقيقة الثانية فهي ان القلة المحدودة من المدن الصناعية هي اساساً مدن استخراجية لا تحويلية . مدن تعدين اكثر منها مدن صناعية وهذا يعني ان صناعتنا لازالت في جوهرها صناعة اولية خامية، بالتالي ان مدنها اقرب الى الصناعية المستقرات (٣٤).

ثالثاً : - الوظيفة التجارية

من الصعب ان تتطور مدينة بغير شي من النشاط التجاري تقوم به خارج حدودها هي اذن وظيفة قاعدية لا يمكن تجاهلها حتى عند تعريف المدينة فقد تزايدت اهمية المدن التجارية باطراد واضح ويرجع محفز تقدم التجارة ونمو المدن التجارية في العالم في الفترة بين القرنين الثالث عشر والثامن عشر الى جهود اصحاب المشروعات التجارية واتباعهم طريقة القيد المزدوج والحوالات التجارية والشركات المساهمة الى السفن الثلاثية وقد شملت المدن التجارية على مدن البيع بالمفرد ومن تجارة الجملة ومن امثلة هذا النوع من المدن (القاهرة ، بغداد ، لندن ، باريس ، موسكو ، نيويورك ، وغيرها) واستناداً الى الوظائف الاخرى المدن التجارية يمكننا ملاحظة ثلاث انواع هي مدن القواعد التجارية للظهير وهي مدن التجارة التي تقوم بخدمة ظهير ارضي اقليمي. حولها تسيطر عليه في صادراتها وامتداداتها (٣٥).

اما مدينة المستودع التي تعتبر كهزمة وصل بين الاقاليم المختلفة اذ ان كل مدينة من هذا النوع تمتاز بموقع يمنحها تسهيلات تجعل التجارة المحيطة تفضل ان تحرمها ، اما مدن نقط التجمع التي توجد هذه المدن من مناطق يتوفر فيها فائض من الانتاج الاولي الذي يدعو الى تصدير على نطاق واسع ومن الامثلة على ذلك (ولوث ونورفوك ومدينة البصرة في العراق والاسكندرية في مصر ودبي في الامارات العربية المتحدة) وتظهر هذه المراكز التجارية حيثما تسمح فرصة الاتصال شعب بدائي بأخر متقدم وهي حتى ظهرت تكوين ارامات التجارة البعيدة وهي اصل وبداية للتجارة الخارجية كما ان السوق اصل وبداية للتجارة الداخلية (٣٦).

رابعاً : - الوظائف الدينية والصحية والترفيهية

إن المدينة الدينية مدينة يقوم اكثر الناس منها بتأدية شعيرة من شعائر الدينية وانما المدينة الدينية هي التي يجمع اليها الناس ليؤدوا شعيرة من شعائر دينهم والمدن الدينية قديمة وذلك لان الدين كان يوماً قولاً عن نشأة الكثير منها فالسومريون اسسوا مدنهم للعبادة وليست للتجارة وكانت عاصمة المقاطعة في مصر فرعونية وهي وهي بيت او قصر او مدينة الاله (٣٧). وظهرت اثينا في ايامها الاولى كمعبد للالهة اثينا ، ولموقع المدن الدينية قداسه خاصة كما ان اغلبها يفضل الابتعاد عن صخب الحياه فيختار اماكن معزلة او متطرفة لاتخضع لظروف جغرافية وكانت المدن الدينية في العصور الوسطى على انواع منها مدن الحج ومدن الاديرة والزوايا والاضرحة ومدن الحكم الديني ، وتوجد مدن حج في كل الاقاليم الحضارية فقد عرفتها الاديان السماوية وغير السماوية ففي الهند (بنارس) وفي الشرق الاوسط (مكة والقدس) ولورد وفي شمال غربي

فرنسا (٣٨). هذا الى جانب العشرات من المدن ذات الشهرة المحلية مثل القيروان في تونس وفارس في مراكش وطنطا في مصر والنجف وكربلاء في العراق ومشهد فمواسم الحج هي مواسم التجارة وتتحول المدن فيها الى اسواق ضخمة لما تقوم به من ضيافة وفنادق ومع ذلك فهي مدن مؤقتة اساساً تشبه المدن الصحية والترفيهية (٣٩) .

ان الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في اهل العصبية وتفرد الوجهة الى الحق فاذا حصل لهم الاستبعاد في امرهم لم يقف لهم شي لان الوجهه واحدة والمطلوب تساو عندهم وهم مستميتون ان الكثير من المنتحلين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون الى القيام على اهل الجوار من الامراء داعين الى تغيير المفكر والنهي عنه والامر بالمعروف وجاء في الثواب عليه من الله فيكثر اتباعهم والمتمثلون بهم من الغوغاء والدهماء ويعرضون انفسهم في ذلك للمهالك واكثرهم يهلكون في هذا السبيل (٤٠) قادرين غير مأجورين لان الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم وانما امر به حيث تكون القدرة عليه كثرت الديانات قبل دخول الديانات السماوية كاليهودية والنصرانية والاسلام والثنية هي الطور الذي تمر به كل أمة في بداوتها قبل ان تنتقل الى التوحيد علماً ان الحالة الدينية في بلاد العرب قبل الاسلام كانت قد تغيرت قليلاً فاصبح اكثر من عقلاء العرب يعي بقبح الكثير من عادات الجاهلية ويستشعر بوجود قوة داخلية (آلهية) مسيطرة على الكون (٤١).

إما الوظيفة الصحية والترفيهية قد يكون غريباً ان يكون نمو المدن الحديثة وخاصة الصناعية دعا الى ظهور مدن يقصدها المرضى والباحثون عن الراحة والتسلية فهذه المدن قامت لتسقبل الهاربين من المدن الاخرى فتوفر لهم مايعيد اليهم صحتهم ويجدد عزيمتهم على ماصلة العمل وربما كانت المدن الصحية اكثر دوماً من الترفيهية لانمواقعها تمتاز بعناية كما ان زوارها من كبار السن ممن يقدرين على دفع نفقات العلاج الباهضة والمدن الصحية على انواع منها (مدن المصحات ومدن الحمامات ومدن الراحة والاعتزال) الى غير ذلك من المدن ' والمدن الترفيهية اكثر عدداً واوسع انتشاراً وان كانت اقل دوماً من المدن الصحية فانها قامت كاستجابة لتطورات الاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها الحضارة الفرنسية ويذهب الناس للترفيه والتسلية والسياحة الى مصايف بحرية او جبلية وتنشط الحركة في الاعياد والعطلات الاسبوعية والصيفية وتلعب السيارة الدور الاكبر في العودة الى الجبال بعد ان كانت تهجر عقب الانقلاب الصناعي(٤٢). اما الوظائف الداخلية فهي تلك التي تكفي ضرورات الحياه في المدينة فانشاء المساكن وصناعة الخبز وتصليح السيارات والتعليم المذهب على اقليم او بناء المدينة وتجارة المفرد ، اما الوظائف الخارجية ممكن التي تجلب الثروة للمدينة في خارج حدودها من بيئتها (٤٣).

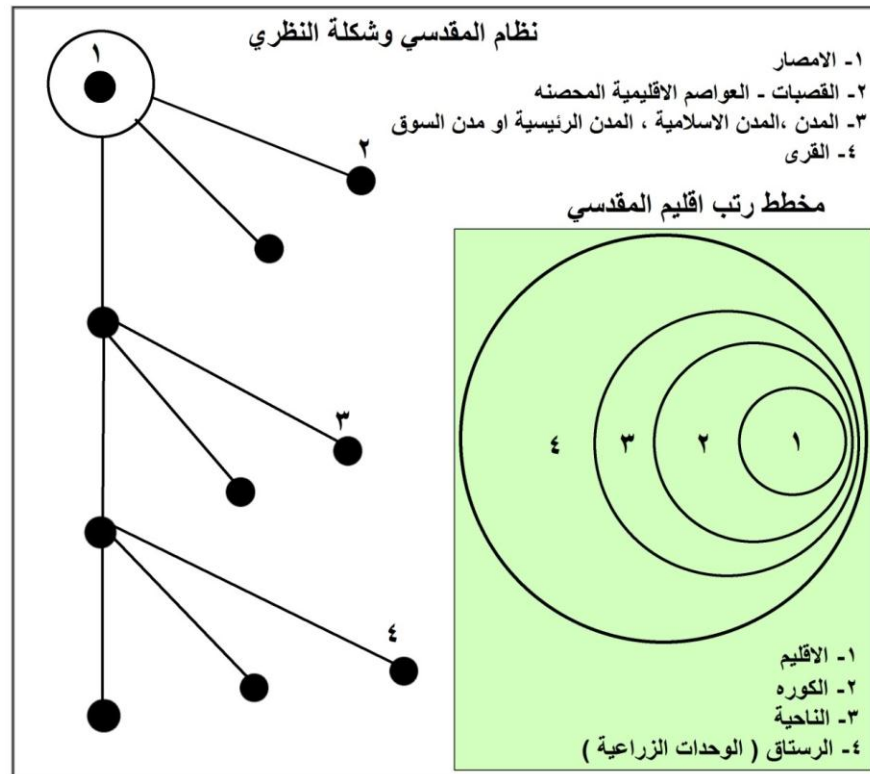
دور المقدسي في تصنيف المدن

قسم المقدسي دار السلام الى رتب حضرية اقليمية تؤلف اربعة صفوف متميزة منبع من جوهر الاشياء وقواعد الحقل وبنى تقاسمه على اساس الشخصية التاريخية والاجتماعية لكل منها وعلى اساس العلاقات المتبادلة بين المدن والاقاليم ثم قسم مراكز السكن في كل اقليم وفق نظام رتب متدرج فالاحصاء توازن الملوك والعقبات (العواصم الاقليمية المحصنة) توازن الحجاب (الوزراء) والمدن توازن الفرسان والقرى توازن الجنود في نظام رتبه محددة من رتب السيادة التي يتمتع بها المركز الحضري وما تتبعه(٤٤) ،

وقد نقل احد الباحثين هذه المعلومات النظرية الى صورة توضح العلاقة المتدرجة بين رتب المدن هذه على النحو الاتي انظر شكل (١) ، يلاحظ ان هذه الاشكال تظهر تطوراً رياضياً بين رتب مراكز السكن والعلاقات بينها (٤٥) . التكامل بين الوحدات الاقليمية على اختلاف رتبها وهذا التطور ينبع من حس منطقي مجلة المقدسي منطلق اساسيا لتصنيف معلومات وبتطبيق النهج ولايعني بالضرورة ان يكون مصحوباً بتغير كمي ولكنه النهج في جوهره عبارة عن خطوات تتلاحق وتتكامل وفق قواعد يحددها المنطق والاستنتاج العقلي الذي يجد المقدسي في سبيله (٤٦) .

لقد سبق المقدسي بفكرته توزيع مراكز المدن في صفوف متوازية متباعدة لحجمها والوظيفة التي تؤديها للاقليم المحيطة بها وطبيعة العلاقات التجارية المحلية السائدة فمنها ما جاء بنظرية الجغرافي الالماني ولتركرستالر ومع ان الملامح الاساسية لنظرية كرسستالر تناقش موضوعات بمختلف طبيعة مما ذهب اليه المقدسي الا اننا نجد شبيهاً كبيراً بين الاثنين وتتطابق بينهما اذ يذكر كرسستالر ان عدد مواضع الرتب العليا اقل من مواقع الرتب الدنيا واكثر تباعداً وهذا الشيء يماثل ما ذهب اليه المقدسي حسب عدد العقبات وهي من الرتب العليا عن عدد القرى وهي من الرتب الدنيا كل اقليم واصبحت نظرية كرسستالر التي وضع اسمها المقدسي قبل ما يزيد على الف عام منطلقاً لدراسات عديدة في جغرافية المدن ومادة اساسية ومن هذا يتضح ان المدن العربية جاءت وفق مخطط يسير متلازماً مع وجود وظيفتها وحجم الخدمات التي تقدمها (٤٧).

شكل (١)



المصدر: علي محمد المياح، منهاج الجغرافية الاقليمية عند العرب في التراث المعاصر، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الرابعون، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ١٩٨٩، ص ٢٤٥.

المبحث الثالث- تصنيف أبرز المدن العربية في التراث الجغرافي (الكوفة ، واسط ' بغداد)**الكوفة**

لقد ذكر المؤرخون واللغويون عدة اسباب لتسمية الكوفة فقبل سميت الكوفة نسبة الى ارضها التي كانت ارضاً رملية تخالطها حصباء، وقيل ان سعد ابن ابي وقاص عندما اختط موضع الكوفة قال للمسلمين تكوفوا اي (اجتمعوا) وقيل ايضاً سميت الكوفة نسبة الى جبل صغير في وسطها فيقال له كوفان.(٤٨) . وقيل انها بنيت في منطقة اسمها كوفيه قد اشتقت من لفظتين شهيرتين في المنطقة وهما كوفان وهو تل صغير وكوفيه بن عمر وهي موضع للمسلمين قد سمعوا باسمها يتردد على السنة المنطقة حيث كانوا يسمون المنطقة بهدف اقامة المعسكر في افضل مواضعها فاشتقوا من اسم احدهما اسماً وألقوه على مدينتهم اثناء تحصيرها (٤٩). ولم تكن الكوفة معروفة بهذا الاسم قبل تحصيرها وانما كان موقعها ارضاً خالية من السكان على الضفة الغربية للفرات الاوسط شرقي مدينة الحيرة وكان بينها وبين النهر لسان من الرمل يقترب عمودياً من الفرات يسمى الملطاط وكانت توجد على حافة البادية مسلمه مترس (جسر الزوارق) المنسوب على الفرات الذي يخفي الى طريق يؤدي الى العاصمة طيسفون (المدائن) (٥٠). وفي هذا السهل الخصيب المحصور بين الفرات شرقاً والبادية الواسعة المطللة على مشارق الشام غرباً بنيت هذا المدينة التي اتخذت اسم الكوفة عند تحصيرها ومما يجب ذكره ان في الوقت الحاضر الذي اخذت فيه الكوفة تتكامل عمرانها وتتفاعل اجتماعياً في اماره بن اميه (٥١) . والكوفة منذ نشأتها وهي لا تكف عن المشاركة في حركة الفتح الاسلامي والكلام عن فتوح الكوفة وقد حفلت به كتب التاريخ والفتوح وهكذا يجمع موضع الكوفة بين البعد السوقي حيث يدلع البر لسانه الى الماء والقرب من الماء والمرعى والزرع.

وقد حظيت الكوفة لشهرتها ومكانتها في تاريخ الامة العربية الاسلامية بعناية العلماء في القديم والوقت الحاضر من العرب وغيرهم وكانت الكوفة مركزاً مهماً اجتماعياً عظيم وعاصمة لتأسيس الحضارة العربية الاسلامية انذاك وهي ايضاً عاصمة واسعة لمستقبل اللغة العربية وعلومها في جزء من ذلك القطر ولقد بقيت الكوفة منذ اول نشأتها بعد الفتح الاسلامي تنعم باهمية خاصة كبرى ظلت محتفظة بها حتى ان شيدت بغداد اذ ظلت الكوفة مركزاً فكرياً عظيماً وظهر فيها عدد كبير من العلماء والفقهاء والمؤرخين (٥٢) . والكوفة قصبة جليله خفيفه حسنه البناء الاسواق كثيرة الخيرات جامعه رفته مصرعاً سعد بن ابي وقاص ايام عمر وكل رمل خالطة حصى فهو كوفة الا ارضها وكان البلد في القديم الحيره وقد ضربت واول من نزلها من الصحابة علي ابن ابي طالب (ع) وتبعه عبد الله بن مسعود وابو الدرداء ثم تتابعوا كلهم (٥٣).

اما جامع الكوفة يقع على ناحية الشرق على اساطين طوال من الحجارة الموصلة ، بهى حسن والنهر على اطرافها من قبل بغداد ولهم ابار عذبه حولها نخيل وبساتين ولهم حياض وقنى ومحله الكناسه من قبل البادية وهو بلد ضرب اطرافه وقد كان نظير بغداد والقادسية ' مدينة على سيف البادية تعمر ايام الحج ويحمل اليها كل خير لها بابان وحصى الطين وقد شق لهم نهر من الفرات الى حوض على باب بغداد وثم عيون عذبه وماء اخر يمرونه عند باب البادية ايام الحج وهي سوق واحد جامع فيه ، سور المدينة بها فواكه كثيرة واعناب

اهله وسائر المدن حضاره أهلا ، عين تمر حصينة في اصلها فالكوفة بحق على حد تعبير الامام علي (ع) (كنز الايمان - و جمجه الاسلام - وسيف الله ورحمه) (٥٤).

صنفت الكوفة الى العديد من المناطق اهمها (بابل ' الجامعين ' وبر الاعور ' الجسر ' حمام اعين ' عين تمر) وغيرها من المدن والمناطق الاخرى الموجودة في الكوفة (٥٥). حيث ان المعلومات التي قدمها المؤرخون الكوفيون عن اماكن الكوفة وحالتها من اهمية كبيرة اذ ان هؤلاء المؤرخين كانوا في هذا الوصف الطبوغرافي قائم على معلومات ومصادر تاريخية مع عدم اهمال المصادر الاخرى ولم تعد تعرف مواقع بعض المواقع وذلك بسبب ازالة معالم كثيرة من هذه الاماكن التي تردد ذكرها في احداث العصور الاسلامية، في حين مميزات بعضها لاتزال باقية وبعضها يحتفظ بمكانه خاصة بالنظر لانها مستوى لشخصيات اسلامية عظيمة او بارزة كالكوفة (٥٦). وقد اختار سعد بن ابي وقاص الكوفة باعتبارها تقع على نهر الفرات بالقرب من بابل القديمة وعلى بعد ثلاث اميال جنوب بلدة (الحيرة) وكان مكانها يسمى بالفارسية (سورستان) اي (ضد العذراء) لانه اشتهر بنباتها الخزامي والاقحوان والسيح ، وقد سميت كذلك لاجتماع الناس من حولهم قد تكون الرمل اي اجتمع ، كما ان ارضها كل رمله يخالطها حصباء تسمى الكوفة (٥٧) . وكان المسجد اول بناء في ارضها ، ترك سعد حوله فناء منسجماً ليكون سوقاً واحاط صحن المسجد بخندق وجعل لكل قبله مكاناً في المسجد ، ثم بنى الاماره بأجر اخذه من انقاض قصر فارس في بلدة الحيرة وكانت منازل الكوفة من القصب اول الامر ثم لما احترق القصب اعاد بناءها باللبن وكانت (هي الكناسه) اشهر احيائها فصارت مكاناً لمفاخرات الشعراء ثم لما تتطورت الامور وتشعب اهلها فقد صارت لها ست ضواحي اهمها (القادسية ' عين تمر) وتعرض اهلها الى نقصان احياناً بسبب نفيهم الى خراسان عندما كانوا يقومون بثورة ضدهم (٥٨) .

وكان تأسيس الكوفة احدى الضرورات الحربية التي فرضتها دواعي الفتح الاسلامي في بلاد فارس في عهد عمر بن الخطاب فقد اندفع الجيش العربي الاسلامي تحت قيادة الصحابي سعد بن ابي وقاص بعد فتوح السواد الفاصلة الى بلاد فارس (٥٩). وكان من نتيجة هذا ان طالت خطوط المواصلات بين مدينة حاضرة الدولة الاسلامية في ذلك الوقت وميادين القتال فكان من الضروري ان يتخذ الجيش الاسلامي المحارب ، نقطة ارتكاز له يستريح عندها عناء السفر وعناء الحرب او معسكراً ثابتاً قريباً من ميدان القتال فأصدر عمر امره الى سعد ان يتخذ للمسلمين دار هجره وقبراً يربط فيه الجنود ومن هنا كان المسلمون يسمون احياناً المقاتله وحياناً المهاجرة وجاء تهجير الكوفة على وجه التحقيق بناءً على امر اصداره الخليفة عمر الى قائده سعد ليحمي به المسلمون على ان يختاروا منزلاً برياً وبحرياً لا يفصله بينهما وبينهم بحراً او براً (٦٠). ختم لهم ذلك في موقع الكوفة الذي اتخذه وتخلله الغساني بما يمتاز به من صفات ارض مرتفعه عن المياه ومنحدره الفلاه فيها الخزامي والاقحوان والشيخ والغيوم والشقائق وغيرها كما ان صفاتها المناخية صفة الجو وعذب النسيم ، وبخاصة اذا كان شمالياً غربياً (٦١).

اما اهم مميزات انها تقع على حافة صحراء الجزيرة العربية لافصل بينها وبين العاصمة ماء او بر وذلك ليسهل ربط العاصمة بقواتها الحربية وحين نزل العرب المسلمون ارض الكوفة اقاموا معسكرهم فيها ونشر سعد فساطه وقيامه عليها واخبر عمرانه نزل ارضاً ثلاثم حالتهم الصحية ووضعهم العسكري ويبدو

اختيار موضع الكوفة لم يكن امراً عفوياً وانما كان بعد بحث دقيق وتفتيش متواصل اظهرت نتائجه انه كان اختياراً موفقاً (٦٢) وكانت الدواعي الى تأسيس الكوفة يرجع الى عاملين اساسيين هما :

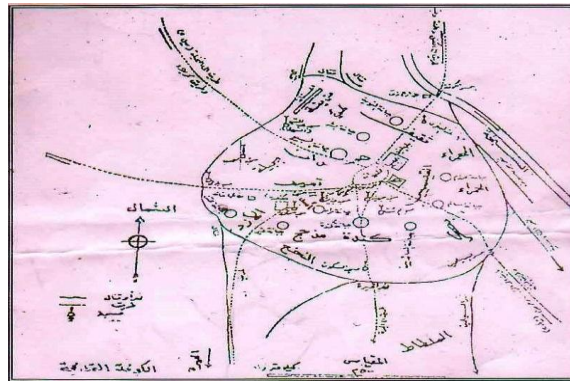
أولاً: العامل العسكري

توغل العرب في فتوحاتهم الى مناطق واسعة خارج صحرائهم فابعدتهم هذه الفتوحات عن العاصمة (المدينة) وعلى هذا كان لابد من المحافظة على خطوط مواصلات الجيش العربي الاسلامي بعد توغله في بلاد فارس وما ترتب من حاجتها الى معسكر ثابت يتخذها القائد نقطة ارتكاز له وقاعدته حربيته يستريح فيها الجند بعد القتال ويتابع تقدمه او على حد تعبير عمر (دار هجرة ومنزل جهاد) ويحمي بها ثغور البلاد ويكون ايضاً مركزاً لتموين ساحات القتال بالجند والمؤن (يحرسون ثغورهم ، ويجدون اهل الامصار) (٦٣).

ثانياً: العامل الجغرافي

اظهر الانتقال من لبنة الصحراوية الى لبنة سهلية او جبلية في المناطق الفتوح نتائج سلبية عن صحة الجند فتغيرت تبعاً لذلك الوانهم وذبلت اجسادهم ويبدو ان مسألة القلق على صحة الجيش المحارب لم تكن السبب الوحيد الذي دفع عمر الى الامر بتأسيس الكوفة وانما اضيف هذا الى رغبة حفظ العرب جيشاً محارباً بعيداً عن الشعوب المغلوبة (٦٤). لما استقر العرب في الكوفة وجد ان حياه الخيام التي يعيشونها في معسكرهم لا تلائم المجتمع الجديد الذي القوه ففكروا في بناء بيوتهم من القصب والبردي حتى تكون اكثر ملائمة لهم من حياة الخيام (٦٥). وهكذا صارت الكوفة ترسم طريقها نحو المدينة خطوة بعد خطوة وكان المسجد اول ما اقامه سعد من المنشأة على هذا الارض الجديدة ثم بنى بعد قصر الامارة وبيت المال وخطت المناهج حوله ثم وزعت القبائل حول المسجد . على هذه المناهج حيث بدأت قوالب اللبن فرقع قواعد من بنيان هذه المدينة فكان هذا في واقعه يمثل حجر الاساس الذي دفع الكوفة على عيونه التطور ونمو المدينة (٦٦).

خريطة رقم (١) الكوفة سنة (١٨ هـ - ١٩ هـ)



المصدر : لويس ماسينيون ، خطط الكوفة ، ترجمة محمد تقي المصمعي ، تحقيق كامل سلمان الجبوري ، مطبعة الغربي الحديثة ، النجف الاشرف ، ط ١ ، ١٩٧١ ص ٣٩٠.

واسط

لم تكن واسط معروفة بهذا الاسم قبيل نشأتها وانما كان موقعها ارضاً مرتفعة خالية من السكان تقع على الضفة الغربية على نهر دجلة شمال البطيحة غربي مدينة كسكر ، التي تقع قبالتها على الضفة الشرقية

من نهر دجلة وقد ربط المدينتين جسر من السفن اشار اليه اليعقوبي اذ قال واسط وهي مدينتان على جانبي دجلة فالمدينة القديمة في الجانب الشرقي من دجلة وبنى الحجاج مدينة في الجانب الغربي وجعل بينهما جسراً من السفن واطلالها اليوم تعرف بالمنارة وذكر المؤرخون الجغرافيون عدة اسباب لتسمية واسط وقبل واسط لان الموقع الذي اختاره الحجاج لبناء مدينته كان يسمى واسط القصب فسميت واسط لان موقعها بين البصرة والكوفة والاحواز تبعد خمسين قدماً من كل المواقع الثلاثة (٦٧). وذكر البلاذري ان الحجاج عندما فرغ من بناء مدينته كتب الى عبد الملك بن مروان اني اتخذت مدينة من الارض بين الجبل والمصريين وسميتها واسطاً ويؤكد هذه الرواية كل من والاصطخري وابن حوقل وياقوت وكان تأسيس واسط احدى الضرورات الاساسية والادارية التي فرضتها ثلاث اسباب رئيسية (٦٨) .

اولاً: عوامل اختيار موضع واسط

لم يكن اختيار واسط موضع امراً مرتجلاً وانما كان بعد تفتيش متواصل وبحث دقيق ابرز من نتائجه فيما بعد انه اختيار موفق بدليل ان انشاء مدينة واسط في هذا الموضع كان ختاماً للفتن التي قامت في ذلك العصر ويمكننا ان نختصر العوامل التي تدفعت الحجاج لاختيار موضع واسط في عامل اداري وعامل اقتصادي وعامل صحي (٦٩). فالعامل الاداري يتضح في اختيار الموقع وسطاً بين الكوفة والبصرة قال الحجاج (اتخذ مدينة بين مدينتين) يعني الكوفة والبصرة تكون بالقرب منها ان يحدث في احد المدينتين حدث وانا في مصر تمر بواسط القصب فأعجبته ، فقال هذا واسط ويبدو ان اعجاب الحجاج بموضع واسط حصل نتيجة ادراكه لاهمية الموقع من الناحية الادارية لان الحجاج كان قد اكتسب خبره ادارية من جراء تنقله كما مر بنا بين البصرة والكوفة وعرف مضار ازدواجية الادارة لذلك عول على اختيار هذا الموقع ليوحد به ادارة ولايته ويقضي بالانتقال اليه على الازدواجية ومضارها بالنسبة الادارية فيما كما يجب ان لاتغفل من الجانب الاخر (٧٠). اما من الناحية العسكرية التي تعتبر احدى فوائد مواضع واسط الادارية فوجود دجلة في شرق الموضع والفرات في غربه يكون له استراتيجية حربية ممتازة فانه يصعب على ما يقرر سنه العبور من دجلة او الفرات اذا ما قطعت الجسور فتهيأ للحجاج الفرص والاستعداد على القضاء لثورات من مدينة واسط (٧١) اضافة الى اهمية موضع واسط من ناحية قريبة من المشرق فان الحجاج بعد ان تم له القضاء على الفتن التي قامت عليه في العراق اراد ايضا من هذا الموضع ان يدير العمليات العسكرية لمواصلة الفتوحات في المشرق فيجهز الجيوش وسيرها للفتوحات (٧٢)

اما العامل الاقتصادي فكان من مميزات موقع واسط فموقع هذا الموضع على نهر دجلة ادى الى ان تكون المدينة اراضي خصبة تمتد من دجلة الى الفرات فقد استفاد الحجاج والامراء من بعده الاراضي الخصبة الممتدة بين النهرين من مياه هذين النهرين (٧٣). فقال الاصطخري (هي يعني واسط – خصبة كثيرة الشجر والنخيل والزرع وليس لها بطائح وارض واسطة واسعة وضواحي قيمة وعمارة متصلة ونواحي واسط عمل مفرد من اعمال العراق العامل جليل وحضرنا المقدسي بقوله (واسط قصب عظيمة كثيرة الشجر معدن السمك حسنة الاسواق واسعة السواد) وضع موقع واسط اهمية تجارية واسعة النطاق فقد كانت منذ نشائها ملتقى عدده طرق برية ومائية ساعدت على تنشيط الحركة التجارية وتبادل السلع في انحاء مختلفة من البلاد (٧٤). وهنا تبرز

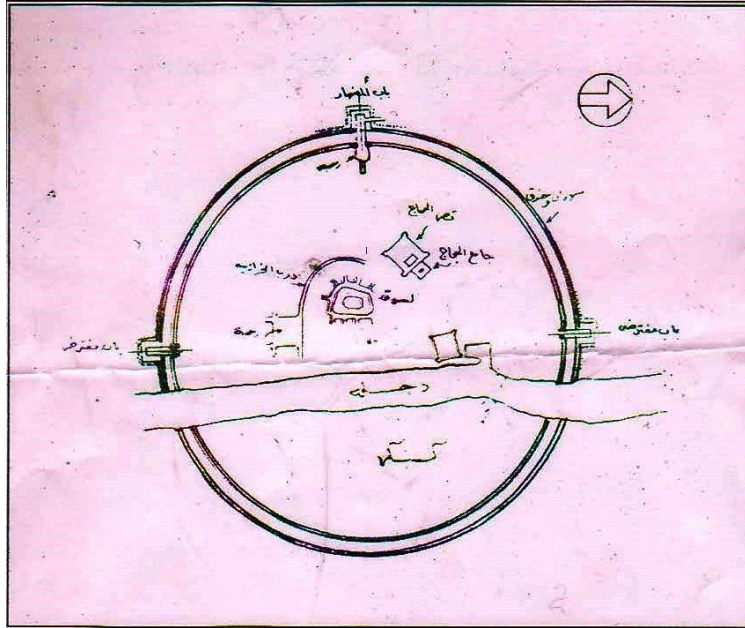
نظرة الحجاج الاقتصادية في اختيار موقع واسط حيث اراد ان تكون مدينة في موقع خصب يتصل بطريق ليكون مرفقاً للرعية ومصدر رزق لها وقد اشار ابن الفقيه الى ذلك كقوله (ان الحجاج عندما اراد بناء مدينة قال الرجل ممن يتقف بعقله اضحى واتبع على ما يامر به الحجاج موضعاً في كرش من الارض التي فيه مدينته ولذلك سمي اهل واسط الكرشيون (٧٥) ان العامل الصحي اثر واضح في اختيار موضع واسط فعندما اراد الحجاج بناء مدينته هذا حذو اسلافه بتاكيد على الناحيتين الطبيعية والصحية الى جانب النواحي الادارية والاقتصادية فارسل الحجاج رجلاً وامره ان يلتمس له مكاناً في كرش الارض وليكن على نهر جاري ' ويبدو انه سار على نهج ياقوت الى يقال لها واسط القصب ، فبات بها واستطاب ليلها واستعذب انهارها واستثمر طعامها وترابها فكتب الى الحجاج بالخير والمدح لهالموضع وعندما وقعت للحجاج صورة الموضع الادارية والاقتصادية والصحية ويبدو ان طبيعة هذا الموضع وضافه الصحية تتحقق مع رغبة العرب في السكن بالاماكن الخلوية الموسمية فأماكنهم في جزيرتهم وهذا يؤكد استمرارية الاتجاه العام لبناء المدن العربية الاسلامية وبخاصة في العراق (٧٦).

اما بالنسبة لتخطيط المدينة فقد خططت مدينة واسط على مثل ما خططت به كل من البصرة والكوفة فقد ذكر البلاذري انه عندما وصلت الى الحجاج اخبار خروج ابن الاشعث اتى الى موضع واسط فأبنتى به مسجداً يذكر موقعه المقدسي في الغرب من طرق الاسواق بعيداً عن الشط (٧٧). وبسمته على ما يذكر ابن سرقه فقر الحجاج وهو في الجانب الغربي وفيه قبه مشرقه خضراء ترى من قسمالصلح وهي بلدة تقع شمال واسط وعلى ضفه دجلة الشرقية وكانت الامارة في واسط تقع على ما اثبتته التنقيبات الاثرية في موضع واسط من قبل مديرية الآثار العامة العراقية على جدار القبلي من مسجد الحجاج وبالقرب منها اقيمت على ما يذكر المقدسي دواوين الحكومة ودار الرزق وقد حدثتنا المصادر التاريخية بأسماء المساجد الاخرى الصغيرة ويمكن ان نطلق عليها اسم مساجد الاحياء (٧٨) . حيث ذكر الخليفة بن خياط في تاريخه - مسجد حسان النبطي على دجلة قرب المدينة والى هذا يذهب المقدسي قائلاً بأنها صحة الهواء عذبه الماء صفة الاسواق واسعة السواد (٧٩)، واسط ايضاً قرية في شرقي دجلة ذات بساتين كثيرة لا تبعد عن الموصل سوى مسافة قصيرة لاتزيد على ميلين وواسط ايضاً قرية بالقرب من نواحي الموصل بين حرق وعين الرصد وبين حرق والمجاهدية (٨٠).

وواسط قرية قرب محله بني فريد ، وهكذا تتداخل عدة عوامل في تحديد موقع واسط حيث النهر والماء ومهب الريح وان واسط بلدة عربية اسلامية انشأت بعد الفتح الاسلامي وكانت لها منذ اول نشأتها اهمية ادارية وسياسية كبيرة وهذا يقضي ان واسط من مدنها (قسم الصلح ، درمکان ' تراقية ' سيادة ' ياذيين السكر ' الطيب ، قرقوب قرية الرمل ' نهر بتري الهبان ' بساميه ' اودسه) (٨١).

يتضح من كلام المقدسي وياقوت وابن خرداذبه ان حدود منطقة واسط شمالية هي زرضامية ونهر سابس المتقاربة الاماكن اما حدودها الجنوبية فهي البطيحة الى ديرمانيه - اما حدودها الشرقية فبالنظر لاتصالها بالاحواز فقد ورد عنه تحديدها الطيب وقرقوب ونهر بتري من اعمال الاحواز من الموقع الخططية التي ذكرت في الجانب الشرقي من مدينة واسط جامع ابن الرقاق وفي الجانب الشرقي من واسط (٨٢). وبالقرب من رباط الدور في ، وعلى شاطئ دجلة تقع مدرسة اقبال الشراحي التي بناها عمر الى جانيها

خريطة رقم (٢) واسط (٨٦ هـ)



بغداد

وبكيفيا – بيت الصخرة ' يعقوبه بيت العقوبه اي السجن ' بصر باشا الاكواخ الخ) ويؤكد هذا ايضاً ما اشار اليه الطبري بقوله اكان في قرن السراه مما يلي الخلد في الجانب الشرقي – قرية – ودير كبير كانت تسمى سوق البقر (٨٧) • وأكد المسعودي هذه الاشارة مع مع الطبري الا انه بذكر الغنم بدل البقر ، او دار السلام او مدينة السلام فقد سماها المنصور ، والمؤرخين العرب اختلاف في تسمية واشتقاق هذا الاسم فبعضهم ينسبون المدينة الى نهر دجلة المدعو بنهر السلام (٨٨) • ويبدوا اسم مدينة السلام اطلق على مدينة

المنصور المدورة المحدودة التي كانت تشبه حصناً حصيناً ، فتسمية مدينة السلام كان باب اطلاق اسم الجزء على الكل والرجوع الى اسم بغداد يبدو ان ازداد نهر دجلة وانعطافة فجاءة نحو الغرب عند موقع بغداد او المدورة هو الذي ارجحه هذه التسمية (٨٩) .

اختيار الموضع

لما اراد المنصور الانتقال من الهامشية بحث رواداً يرتادون له موقعاً يبني فيه مدينة ويكون الموضع واسعاً وافقاً بالعامية والجند ' فذكر له موضع قريب من ذكر له عنه غذاء وطيب ' فخرج اليه بنفسه متى نظر اليه وبات فيه فراه موضعاً طيباً ، فقال لجماعه من (خاصته) فهم سليمان بن مجالد وابو أيوب (الخوذي) وعبد الملك بن حميد الكاتب رأيكم في هذا الموقع قالوا (هو موضع) اطيب موقف صالح ' قال صدقتم ولكنه لا يحتمل الجند والناس وانما اريد موضعاً ترتفع به (الرعيه ويوافقها) ولا تخلوا عليها ولا تستنفذ فيه المؤونة فانى ان نحن في موقع لا يجلب اليه (في البر والبحر) غلت الاسعار وقلت المادة واشتدت المؤونة (٩٠) وشق في ذلك على الناس وقد نهت في طريقي بموقع اجتمعت فيه هذه الخصال فأنه موضع قصر السلام ، فقال هذا موضع (صالح للبناء) فان المادة تأتيه من الفرات ودجلة ومجموع الانهار ولا يحتمل الجند والرعيه الامثلة (مخطط المدينة) وقدر البناء لها (٩١) . ودفع اول لبنه بيده وقال (بسم الله والحمد لله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) ثم قال ابنوا على بركة الله ثم ارسل جماعة بان كل واحد منهم في قريه (من القرى) القريبة من بغداد فلما عادوا اليه اتفقوا على قولهم على طيب بغداد وصحة هوائها (٩٢) . فقال (صاحب بغداد وهو الدهقان الذي قريته قائمة الى اليوم في المربعة المعروفة بأبي العباس الفضل بن سليمان الطوسي ' فهناك اربعة طسابع فيها طسوجات في الجانب الغربي وطسوجان في الجانب الشرقي (٩٣) . اما اللذان في الغرب فهما قطربل وبادرويا ' واما اللذان في الجانب الشرقي فهما بوق ، وكلوازي فان (ضرب) منها طسوج او تأخرت عمارته كان الاخر عامراً وانت يا امير المؤمنين، تجيك الميره ، من الغرب في الفرات ومن الشام ومصر وسائر تلك البلدان وتجيك الذي من اطراف الهند والصين والسند والبصرة وواسط في دجلة وتجيك المحيرة واذربيجان وما يتصل بها في سامراء وتجيك الميره من الروم و احد فارس والثغور الجزريه ومن الجزيرة الموصل و الشام في دجلة بين الانهار ولا يصلك عدد الاعلى او قنطرة وانت متوسط للبصرة والكوفة وواسط (٩٤) .

تأسيسها

فتح المنصور مشروع لمدينة في يوم تاريخي مشهود من عام ٤٥ هـ حضره رجال الدولة ومما يكن من فقد استأنف المنصور بناء مدينة بغداد ومعالمها المدوره يذكر اليعقوبي : انه لا يعرف في جميع الاقطار الدنيا مدينة مدوره غيرها (٩٥) . ويشير الى انها بنيت مدوره متى يكون الملك اذا نزل وسطها الى موضع منها اقرب منه الى موضع ، والحق بمدينة بغداد مجمعات عمرانية ذات نشاط تجاري ' بالقرب منها وقد وضع اساسه المنصور بين السراه ونهر عيسى ونقل اليه اسواق بغداد ' واخر على حد تعبيره استاذنا الدكتور الشلبي (٩٦) . عمل المنصور للرصافة سوراً وخذقاً ومسجداً جامعاً وقصراً ولكن اتساع بغداد الحقيقي كان في عهد الرشيد اذ شيدت في الرصافة قصور ضخمة اهمها قصر يعقوب بن يحيى البرمكي (٩٧) . ان لكل قرية او مدينة سوقاً خاصاً ومن هذه الاسواق سوق العطارين وسوق الحدادين وسوق النجارين وسوق البزازين الخ

وهذه الميزة ميزت بها اسواق بغداد دون غيرها من اسواق العالم يوم ذاك ولم يكتفي المنصور بتأسيس مدينة على الضفة الغربية لدجلة ' بل عمل على توسيعها وذلك باقامة مدينة جديدة على الجانب الشرقي لدجلة سماها الرصافة (٩٨) * وتوسع الناس في البناء بالقسم الشرقي من بغداد، فبنوا فيها القصور المنيعـة والمنازل المزخرفة، الاسواق والمساجد والحمامات (٩٩)، حيث كان نصيب محله التماسه في عهد الرشيد من هذه الحركة العمرانية كبير وخالصة القول ان بغداد صارت من اهم المدن الاسلامية بل العاملين في العصر العباسي الاول، واحتلت مكان الصدارة في العالم والثقافة والنشاط التجاري والاجتماعي وكثرت ثرواتها وازدهرت في عهد الرشيد وتجلت ذلك في بلوغ العمران غايته وازحام الناس متى ان تعدادهم زاد على مليون نسمة (١٠٠) .

الخاتمة

ان تصنيف المدن العربية في التراث الجغرافي يعتمد على وظائفها لان اساس نشأة المدينة العربية هي وظائفها التي هي (العسكرية – الادارية – الدينية – الصحية – والترفيهية) واختلف الباحثون في تعريف تصنيف المدن منذ القدم لكن التعريف الموحد لتصنيف المدن هو تصنيف المدن على اساس معيار معين وانواع التصنيف هي التصنيف المكاني والتصنيف البنوي والتصنيف النوعي والتصنيف المرتبي والتصنيف التاريخي وقد اشار المقدسي الى تصنيف المدن حسب رتبها وحسب وظائفها وقد اوضح المقدسي بتصنيف المدن حسب رتبها وقسمها الى رتب (١) امصار (٢) قصبات (العاصمة الاقليمية المحصنة) (٣) المدن (٤) القرى وهذا حسب وظائف كل منها فالامصار هي اكبر من القصبـة والقصبـة تعني عاصمة اي مركز الامصار والمدن والقرى وقد اشار ابن خلدون لوجود الوظيفة الصحية المتمثلة بالبيئة الخالية من الامراض للمدينة والترفيهية المتمثلة بوجود المساحات الخضراء في المدينة وقد تبين لنا ان من ابرز المدن العربية المتمثلة في الكوفة والتي اساس تصنيفها حسب وظيفتها التي كانت عسكرية وواسط التي كانت وظائفها ادارية وعسكرية وبغداد كذلك.

هوامش البحث

- 1 – witold wilezynki , on the uecesstiy of the Geogrph of Geographical thought , paper prestnted at the 31 st international Geographical congressin tunis , on August 13, 2008,p.5 .
- ٢ – علي محمد المياح ' التصنيف المناخية ' مجلة الجمعية الجغرافية ' المجلد السادس ' مطبعة اسعد ' ١٩٧٠ ص ٤٢ .
- ٣ – عادل عبد الله خطاب ' جغرافية المدن ' دار الكتب للطباعة والنشر ' جامعة الموصل ' ٢٠٠٠ ص ٥٥ .
- ٤ – علي محمد المياح ' التصنيف المناخية ' مصدر سابق ' ص ٤٢ .
- ٥ – المقدسي ' احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ' مطبعة برلين ' ١٩٦٧ ' ص ٤٢ .
- ٦ – المصدر نفسه ' ص ١٢٥ .
- ٧ – عبد الفتاح وهيبـة ' جغرافية العمران ' منشأة المعارف ' الاسكندرية ' ١٩٧٥ ' ص ١٢٥ .
- ٨ – المقدسي ' مصدر سابق ' ص ٧٥ .
- ٩ – عبد الفتاح محمد وهيبـة ' جغرافية العمران ' مصدر سابق ' ص ٤٢ .
- ١٠ – علي محمد المياح ' التصنيف المناخية ' مصدر سابق ' ص ٤٥ .
- ١١ – المقدسي ' مصدر سابق ' ص ٤٢ .
- ١٢ – علي محمد المياح ' التصنيف المناخية ' مصدر سابق ' ص ٤٢ .
- ١٣ – عبد الفتاح محمد وهيبـة ' جغرافية العمران ' مصدر سابق ' ص ٤٢ .
- ١٤ – عادل عبد الله خطاب ' مصدر سابق ' ص ٨٥ .

- ١٥ - المصدر نفسه ' ص ١٠١ .
- ١٦ - د . صبري فارس الهيتي ' صالح فليح حسن ' جغرافية المدن ' دار الكتب للطباعة والنشر ' ٢٠٠٠ ' ص ٧٢.
- ١٧ - المصدر نفسه ' ص ٧٢ .
- 18 - Arthur Getis , Judith Getis . Jerome p . fellmann in trodution to Geography . twelfth Edition mc . Graw . Hill , newyork , 2009 , p389 .
- ١٩ - احمد علي اسماعيل ' دراسات في جغرافية المدن ' طء ' دار الثقافة والنشر ' القاهرة ' ١٩٨٨ ' ص ١٦٥-١٦٦ .
- ٢٠ - عبد الفتاح وهيبه ' الجغرافي والدراسة الميدانية ' المجلة الجغرافية العربية ' العدد الاول ' ١٩٦٨ ' ص ١٢٩ .
- ٢١ - د . صبري فارس الهيتي ' صالح فليح حسن ' مصدر سابق ' ص ٩٢ .
- ٢٢ - عبد الفتاح وهيبه ' الجغرافية والدراسة الميدانية ' مصدر سابق ' ص ١١٢ .
- ٢٣ - د . صبري فارس الهيتي ' صالح فليح حسن ' مصدر سابق ' ص ٩٤ .
- ٢٤ - عادل عبد الله خطاب ' مصدر سابق ' ص ٩٢ .
- ٢٥ - المصدر نفسه ' ص ٢٠ .
- ٢٦ - عادل عبد الله خطاب ' مصدر سابق ' ص ٩٢ .
- ٢٧ - عبد الفتاح وهيبه ' الجغرافي والدراسة الميدانية ، مصدر سابق ' ص ٢٠ .
- ٢٨ - المصدر نفسه ' ص ٢٢ .
- ٢٩ - عبد الفتاح وهيبه ' الجغرافي والدراسة الميدانية ' مصدر سابق ' ص ٥٧ .
- ٣٠ - صبري فارس الهيتي ' مصدر سابق ' ص ٣٨ .
- ٣١ - عبد الفتاح وهيبه ' جغرافية المدن ' مصدر سابق ' ص ٧٥ .
- ٣٢ - عادل عبد الله خطاب ' مصدر سابق ' ص ٨٢ .
- ٣٣ - مصطفى عباس الموسوي ' العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ' دار الرشيد ' ١٩٨٢ ' ص ٣٢٦.
- ٣٤ - عبد الفتاح وهيبه ' جغرافية العمران ' مصدر سابق ' ص ١١٣ .
- ٣٥ - صبري فارس الهيتي ' مصدر سابق ' ص ٩٢ .
- ٣٦ - عبد الفتاح وهيبه ' جغرافية العمران ' مصدر سابق ' ص ٧٨ .
- ٣٨ - مصطفى عباس الموسوي ' مصدر سابق ' ص ٢٠ .
- ٣٩ - المصدر نفسه ' ص ٢٠١ .
- ٤٠ - ابن خلدون ' مصدر سابق ' ص ٢١٦ .
- ٤١ - المصدر نفسه ' ص ٢٢٠ .
- ٤٢ - مصطفى عباس الموسوي ' مصدر سابق ' ص ١١٥ .
- ٤٣ - المقدسي ' المصدر نفسه ' ص ٤٣ .
- ٤٤ - المقدسي ' المصدر نفسه ' ص ٩٥ .
- ٤٥ - علي محمد المياح ' منهاج الجغرافية الاقليمية عند العرب في التراث المعاصر ' مجلة المجمع العلمي العراقي ' ج ١ ' المجلد الرابعون ' مطبعة العلمي ' بغداد ' ١٩٨٩ ' ص ٢٤٥ .
- ٤٦ - المصدر نفسه ' ص ٢٤٥ .
- ٤٧ - المقدسي ' مصدر سابق ' ص ١٢٠ .
- ٤٨ - ابن الاثير ' الكامل في التاريخ ' المجلد الاول ' دار الفكر للنشر ' بيروت ' ١٩٧٨ ' ص ١١٨ .
- ٤٩ - علي محمد المياح ' جغرافية العراق في معجم البكري ' مطبعة المجمع العلمي ' ٢٠٠٢ ' ص ١٠٢ .
- ٥٠ - صالح احمد العلي ' معالم العراق العمرانية ' الطبعة الاولى ' دار الشؤون الثقافية للنشر ' ١٩٨٩ ' ص ٧٧
- ٥١ - علي محمد المياح ' التصانيف المناخية ' مصدر سابق ' ص ٤٥ .
- ٥٢ - صالح احمد العلي ' مصدر سابق ' ص ٧٣ .
- ٥٣ - المقدسي ' مصدر سابق ' ص ٧٨ .
- ٥٤ - ابن خلدون ' مصدر سابق ' ص ١٥٠ .
- ٥٥ - ابن الاثير ' مصدر سابق ' ص ١١٣ .

- ٥٦ - الطبري ' تاريخ الرسل والملوك ' الجزء الاول ' دار المعارف ' القاهرة ' بدون سنة ' ص ١٩٢ .
- ٥٧ - ابن الاثير ' مصدر سابق ' ص ١١٣ .
- ٥٨ - ابن خلدون ' مصدر سابق ' ص ٢٠٣ .
- ٥٩ - عبد الفتاح وهيبه ' جغرافية العمران ' ص ٩٩- ١٠٠ .
- ٦٠ - ابن خلدون ' مصدر سابق ' ص ٧٨ .
- ٦١ - المصدر نفسه ' ص ١١٥ .
- ٦٢ - علي محمد المياح ' جغرافية العراق في معجم البكري ' مصدر سابق ' ص ١٠٢ .
- ٦٣ - مصطفى عباس الموسوي ' مصدر سابق ' ص ١٠١ .
- ٦٤ - علي محمد المياح ' جغرافية العراق في معجم البكري ' مصدر سابق ' ص ١٠٢ .
- ٦٥ - مصطفى عباس الموسوي ' مصدر سابق ' ص ٨٩ .
- ٦٦ - المصدر نفسه ' ص ٧٧ .
- ٦٧ - علي محمد المياح ' جغرافية العراق في معجم البكري ' مصدر سابق ' ص ١٠٢ .
- ٦٨ - صالح احمد العلي ' معالم العراق العمرانية ' الطبعة الاولى ' ١٩٨٩ ' الشؤون الثقافية للطباعة والنشر ' ص ٧٧ .
- ٦٩ - صالح حنظل ' المدن العربية الاسلامية الاولى في العراق ' مجلة المناذرة ' المجمع العربي ' العدد ١٦ ' ٢٠٠٤ ' ص ٣٥ .
- ٧٠ - جرجي زيدان ' تاريخ المدن الاسلامي ' منشورات دار الرشيد ' ١٠٨٢ ' ص ٨٣٢ .
- ٧١ - اليعقوبي ' تاريخ اليعقوبي ' ج ١ ' الطبعة الثانية ' ١٩٧٨ ' ص ١٩٩ .
- ٧٢ - صالح العلي ' مصدر سابق ' ص ١٧ .
- ٧٣ - جرجي زيدان ' مصدر سابق ' ص ١٠٨ .
- ٧٤ - مصطفى عباس الموسوي ' مصدر سابق ' ص ١٠٠ .
- ٧٥ - صالح حنظل ' مصدر سابق ' ص ١١٣ .
- ٧٦ - عبد الفتاح وهيبه ' جغرافية العمران ' مصدر سابق ' ص ٧٧ .
- ٧٧ - صالح حنظل ' مصدر سابق ' ص ٣٠ .
- ٧٨ - عبد الفتاح وهيبه ' جغرافية العمران ' مصدر سابق ' ص ٧٧ .
- ٧٩ - صالح حنظل ' مصدر سابق ' ص ٣٥ .
- ٨٠ - مصطفى عباس الموسوي ' مصدر سابق ' ص ٤٩ .
- ٨١ - علي محمد المياح ' التصنيف المناخية ' مصدر سابق ' ص ٤٢ .
- ٨٢ - صالح احمد العلي ' مصدر سابق ' ص ٨٥ .
- ٨٣ - المقدسي ' مصدر سابق ' ص ٨٥ .
- ٨٤ - علي محمد المياح ' مصدر سابق ' ص ٥٩ .
- ٨٥ - صالح احمد العلي ' بغداد مدينة السلام ' المجلد الثاني ' مطبعة المجمع العلمي ' العراق ' ١٩٨٥ ' ص ١٣٠ .
- ٨٦ - المسعودي ' مروج الذهب ومعادن الجوهر ' الطبعة الاولى ' بيروت ' ٢٠٠٢ ' ص ٨٢ - ٨٦ .
- ٨٧ - مصطفى جواد ' احمد سوسة ' دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً ' مطبعة المجمع العلمي العراقي ' ١٩٥٨ م - ١٣٧٨ هـ ' ص ٧٢ .
- ٨٨ - صالح احمد العلي ' مصدر سابق ' ص ١٣٠ .
- ٨٩ - المسعودي ' مصدر سابق ، ص ٦٢ .
- ٩٠ - مصطفى جواد ' احمد سوسة ' مصدر سابق ' ص ٧٥ .
- ٩١ - صالح احمد العلي ' مصدر سابق ' ص ١٢٠ .
- ٩٢ - المصدر نفسه ' ص ٩٥ .
- ٩٣ - المصدر نفسه ' ص ١١٧ .
- ٩٤ - المسعودي ' مصدر سابق ' ص ٨٥ .
- ٩٥ - علي محمد المياح ' جغرافية العراق في معجم البكري ' مصدر سابق ' ص ٦٥ .
- ٩٦ - مصطفى عباس الموسوي ' مصدر سابق ' ص ٨٨ .

- ٩٧ - مصطفى جواد ' احمد سوسة ' مصدر سابق ' ص ٧٠ .
 ٩٨ - مصطفى عباس الموسوي ' مصدر سابق ' ص ٩٥ .
 ٩٩ - المسعودي ' مصدر سابق ' ص ٨٥ .
 ١٠٠ - المقدسي ' مصدر سابق ' ص ٧٨ .

قائمة المصادر والمراجع

- ١ - ابن خلدون ' مقدمة ابن خلدون ' الطبعة السادسة ' دار القلم ' لبنان ' ١٩٨٩ .
- ٢ - ابن الاثير ' الكامل في التاريخ ' المجلد الاول ' دار الفكر للنشر ' بيروت ' لبنان ' ١٩٧٨م ' ١٢٩٨هـ .
- ٣ - زيدان ' جرجي ' تاريخ المدن الاسلامية ' منشورات دار السلام ' ١٩٨٢ .
- ٤ - الهيتي ' صبري فارس ' د . صالح فليح حسن ' جغرافية المدن ' دار الكتب للطباعة والنشر ' جامعة الموصل ' ٢٠٠٠ .
- ٥ - المياح ' علي محمد ' جغرافية العراق في معجم البكري ' مطبعة المجمع العلمي ' بغداد ' ٢٠٠٢ .
- ٦ - العلي ' صالح احمد ' معالم العراق العمرانية ' الطبعة الاولى ' دار الثقافة للطباعة والنشر ' ١٩٨٩ .
- ٧ - الطبري ' تاريخ الرسل والملوك ' الجزء الاول ' دار المعارف ' القاهرة ' بدون سنة .
- ٨ - وهيبة ' عبد الفتاح محمد ' الجغرافية والدراسة الميدانية ' المجلة الجغرافية العربية ' العدد الاول ' القاهرة ' ١٩٦٧ .
- ٩ - وهيبة ' عبد الفتاح محمد ' الجغرافية العمرانية ' منشأة المعارف ' جامعة الاسكندرية ' ١٩٧٥ .
- ١٠ - المياح ' علي محمد ' التصنيف المناخية ' مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ' المجلد السادس ' مطبعة اسعد ، ١٩٧٠ .
- ١١ - خطاب ' عادل عبد الله ' جغرافية المدن ' دار الكتب للطباعة والنشر ' جامعة الموصل ' ٢٠٠٠ .
- ١٢ - المياح ' علي محمد ' مناهج الجغرافية الاقليمية عند العرب في التراث المعاصر ' مجلة المجمع العلمي العراقي ' الجزء الاول ' المجلد الاربعون ' بغداد ' ١٩٨٩ .
- ١٣ - حمدي ' عطيات ' الجغرافية العمرانية ' الطبعة الاولى ' الاسكندرية ' ١٩٦٥ .
- ١٤ - حنظل ' د . فالح ' المدن العربية الاسلامية الاولى في العراق ' مجلة المناذرة ' العدد ١٦ ' ٢٠٠٤ .
- ١٥ - الموسوي ' مصطفى عباس ' العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ' دار الرشيد ' ١٩٨٢ .
- ١٦ - جواد ' مصطفى ' احمد سوسة ' دليل خارطة بغداد المفصل ' في خطط بغداد قديماً وحديثاً ' مطبعة المجمع العلمي العراقي ' ١٩٥٨ .
- ١٧ - المقدسي ' احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ' مطبعة ابريل ' لندن ' ١٩٦٧ .
- ١٨ - المسعودي ' مروج الذهب ومعادن الجوهر ' الجزء الثاني ' الطبعة الاولى ' بيروت ' ٢٠٠٢ .
- ١٩ - اليعقوبي ' احمد بن ابي يعقوب ' تاريخ اليعقوبي ' الجزء الاول ' الطبعة الثانية ' ١٩٧٨ .
- ٢٠ - ماسينون ' خطط الكوفة ' ترجمة محمد المصمعي ' ط١ ' مطبعة الغربي الحديثة ' النجف الاشرف ' ١٩٧١ .

(الدوائر الحكومية)

مديرية الآثار العامة ' مخطط لمدينة واسط ' فؤاد سفر